التي بين يديكم ملأى الجنود تاتيكم وتطؤكم وأعذر لكم أن لا تخرجوا أميركم إنكم إن تطعموني وأنا فيكم
بين أظهركم مما أيسر شأني وأقل رأيكم على إخراجي وما أقول هذا إلا نظرا لكم أريد بكم حقن
الدماء بمشيئتي وشتموا يزيد وقالوا لا نبدأكم به ثم أخرجهم بعد ما أتى مروان عبد الله
ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إن هؤلاء القوم قد ركبوا ما ترى فضم عيالنا فقال لست
من أمركم وأمر هؤلاء في شيء ثم أتى علي بن الحسين فسأله أن يضم عياله ثقله ففعل
ووجههم وامرأته أم أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه عبد الله ومحمد فخرج حريث
الملقب برقاصة بثقل مروان وفيهم أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فضرب ابنه بعصا كادت تدق عنقه مولى ومضوا إلى ذي خشب وفيهم عثمان بن
محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان وأتبعهم العبيد والسفلة والصبيان
يرمونهم وأقام بنو أمية بذي خشب عشرة أيام وسرحوا حبيب بن كرة إلى يزيد بن
معاوية يعلمونه وكتبوا إليه الغوث الغوث وبلغ أهل المدينة أنهم وجهوا رجلا إلى يزيد
فخرج محمد بن عمرو بن حزم وحريث رقاصة وخمسون راكبا فأزعجوا بني أمية فنخس حريث
بمروان فكاد يسقط عن دابته فلما كانوا بالسويداء عرض لهم مولى لمروان فقال جعلت
فداك لو نزلت فأرحت وتغديت فالغداء حاضر فأبى فقال ابن عمه يدعى رقاصة
وأشباهه ونظر مروان إلى ماله بذي خشب فقال ما لي أراك ما أحرزته العيال وفي
ذلك من فعلهم بمروان يقول الأحوص

لا ترثين لحزمي رأيت به ۝ ضرا ولو ألقي الحزمي في النار ۝
الناخسين بمروان بذي خشب ۝ والمقحمين على عثمان في الدار ۝

فذكروا أن حبيب بن كرة دخل على يزيد وهو واضع رجله في طست لوجع كان يجده بكتاب
بني أمية وأخبره الخبر فقال أما كان بنو أمية ومواليهم ألف رجل فقال بلى وثلاثة آلاف
قال فعجزوا أن يقاتلوا ساعة من نهار قال كثرهم الناس ولم يكن بهم طاقة فكان ذلك هو
الذي حرك يوم الحرة وكان أبو قطيفة عمرو بن الوليد ممن أخرج من بني أمية عن المدينة إلى
الشام فلما طال مقامه بها قال ۝

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ۝ قباء وهل زال العقيق وحاضره ۝
وهل برحت بطحاء قبر محمد ۝ أراهط غر من قريش تباكره ۝
لهم منتهى حبي وصفو مودتي ۝ ومحض الهوى مني وللناس سائره ۝

وقال أيضا

ليت شعري وأين مني ليت ۝ أعلى العهد يلبن فبرام ۝
أم كعهدي العقيق أم غيرته ۝ بعدي الحادثات والأيام ۝

وبأهلي بدلت عكا ولخما ۝ وجذاما وأين مني جذام
وتبدلت من مساكن قومي ۝ والقصور التي بها الآطام
كل قصر مشيد ذي أواس ۝ يتغنى على ذراه الحمام
اقر مني السلام إن جئت قومي ۝ وقليل لهم لدي السلام
أقطع الليل كله باكتئاب ۝ وزفير فما أكاد أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار ۝ وحادت عن قصدها الأحلام
خشية أن يصيبهم عنت الدهر ۝ وحرب يشيب منه الغلام

فقال ابن الزبير لما بلغه شعر أبي قطيفة هذا قال حن والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله من لقيه فليخبره أنه آمن وليرجع فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعا فلم يصل إليها حتى مات ويقال إن امرأة من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشام فخرج بها إلى بلده على كره منها فسمعت منشدا ينشد شعر أبي قطيفة هذا فشهقت شهقة وخرت على وجهها ميتة وقال أبو قطيفة أيضا

ألا ليت شعري هل تغير بعدنا ۝ جنوب المصلى أو كعهدي القرائن
وهل أدور حول البلاط عوامر ۝ من الحي أم هل بالمدينة ساكن
إذا برقت نحو الحجاز سحابة ۝ دعا الشوق مني برقها المتيامن
فلم أتركها رغبة عن بلادها ۝ ولكنه ما قدر الله كائن
أحن إلى تلك الوجوه صبابة ۝ كأني أسير في السلاسل راهن

وبان عني وادي القرى ابن معمر ۝ محزن من شوق إلى وادي القرى

ذكر جميل ابن عبد الله بن معمر الذي ذكره الناظم هو جميل بن عبد الله بن معمر العذري ومن حديثه أنه كان يحب بثينة بنت حباء العذري ويشبب بها وكان أول علاقته لها يأتي أختا لها فيتحدث إليهما ويعرض في حديثه حتى اتهمها أخوها به فوجدت به مثل ما وجد بها وانتشر حديثهما فغار أهلها ورصد جماعة منهم جميلا عن ناقته حتى وقفا على بثينة وأختها وهو ينشدهما

ذكر جميل بن عبد الله بن معمر

حلفت لها بالراقصات إلى منى ۝ هوي القطا يجتزن بطن دفين
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقيا ۝ سليمى ولا أم الحسين لحين
فليت رجالا فيك قد نذروا دمي ۝ وهموا بقتلي يا بثين لقوني
إذا ما رأوني طالعا من ثنية ۝ يقولون من هذا وقد عرفوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرمى بناقته فأرسلت نفسها من هبوات كئودة فوقفت مقيدة أخطأوها ... وأغبارها وهي فوكما ... من وادي القرى في سواد كظيمة فبقي من نافقه ... يتذاكره الناس ويعجبون